﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾ [البقرة: 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمَّا ذكر الله سبحانه مَنِ اتَّبَعَ الحقَّ ظاهرًا وباطنًا، وذكر مَن تَمَحَّضَ كُفْرُهُ ظاهرًا وباطنًا؛ ذكر صنفًا آخر وهُمُ الذين آمنوا بالدَّعاوَى اللَّفظيَّةِ، وقلوبُهُم خاويةٌ مِنَ الإيمانِ، وهَؤُلَاء أَسْوَأُ الكُفَّار وأخبثُهم؛ لكونهم جمعوا إلى الكُفْرِ الاستهزاءَ والخداع[1]، وقد جاءَ التَّرتيبُ بديعًا، حيث بدأَ بالمؤمنين باعتبارهم الأصلَ، والمُتَّبعين الكتابَ، ثمَّ ثنَّى بالكافرين باعتبارِ المُقابَلة الوَاضِحة بينَهم وبينَ المؤمنين، ثمَّ ذَكر المُنافقين مَعْطُوفين على الكافرينَ، فهُم النَّوعُ الجديدُ في مَهْيع إظهارِ ما يُخالِف الباطنَ، فهُم -وإنِ اشْتَرَكُوا مع الكافرين في أصل المُعتَقد- يُخالفونَهُم في الإظهارِ، فكان عطفُهم مِن قَبيلِ عطفِ القصَّةِ على القصَّةِ.

قال الفخرُ الرّازي في إيضاح مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها: "اعلمْ أنَّ المفسّرين أجْمَعوا على أنَّ ذلك في وَصْفِ المُنافقين، قالوا: وصَفَ الله الأصنافَ الثلاثةَ من المُؤمنين والكافرين والمنافقين، فبدأَ بالمُؤمنين المُخلِصين الذين صَحَّتْ سرائِرُهم، وسَلِمَتْ ضمائِرُهم، ثُمَّ أتبعَهُمْ بالكافرين الذين من صِفَتِهم الإقامةُ على الجُحود والعِناد، ثمّ وَصَفَ حالَ من يقولُ بلسانه: إنّه مؤمنٌ، وضميرُهُ يُخالفُ ذلك"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱلنَّاسِ﴾: في اشتقاقِ (النَّاسِ) ثلاثةُ أقوالٍ: الأول: أنَّها من أُنَاس، وحذفت الهمزة تخفيفًا، فقيل: (النَّاس)[3]، الثاني: أنَّها مِنَ النَّوْسِ، يقال: ناسَ يَنُوسُ نَوْسًا؛ إذا تحرَّكَ[4]، وسُمُّوا بذلك لِأَنَّ مِن شَأْنِهم الحركةَ[5]، الثالث: أنَّها من نسي، ونُقِلَت

(1) البقاعي، نظم الدرر: 1/99، والمراغي، تفسير المراغي: 1/48.
(2) الرّازي، التّفسير الكبير: 2/64.
(3) الخليل، العين: (نوس).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 527.
(5) الواحدي، التفسير البسيط: 2/125.

الياءُ فأصبحت نيسًا ثم قلبت ألفًا[1]، ويُطلقُ لفظُ النَّاسِ على مَجْموعِ البَشَرِ، وعلى طائفةٍ مِنْهُم، وتَأتي في مقابَلة الجِنِّ.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ومِن النَّاسِ قومٌ ينطقون بأَلْسِنَتِهم ما لا تَنْطَوِي عَلَيْهِ قلوبُهُمْ؛ فهم يَزْعُمُون أنَّهم مؤمنون باللّه وبيوم البَعْثِ، وهم مُبْطِلون في زعمهم، كاذِبون في قولهم؛ إذْ إنَّهم في باطنِ الأمر وحقيقتِه كُفَّارٌ ليسوا بمؤمنين[2].

وهذه الآية في المُنَافقين الذي يُظْهِرُون الإيمانَ ويُبْطِنُون الكفرَ[3].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

فَائِدَةُ أُسْلُوبِ التَّقْسِيمِ البديعيِّ:

اسْتِيعَابُ القُرْآنِ الكَرِيمِ لِأَقْسَامِ النَّاسِ إيمانًا وكفرًا

قولُ اللّه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ مضمومٌ إلى مجموعِ الآياتِ السَّابقةِ، والآياتُ اسْتَوْعَبَتْ أقسامَ النَّاسِ جميعًا، وهذا يُعرف في علم البديعِ بِأُسْلُوب التَّقسيم[4].

ووجه ذلك: أنَّ حالَ النَّاسِ في تعاملِهم مع الوحي لا يخلو مِن قسمين:

أحدهما: أَنْ يَكُونُوا مؤمنين بِالحقِّ مُتَّبعينَ ومُسلِّمين لهُ، وهؤلاء هُمُ المؤمنون.

والآخر: أَنْ يكونوا غيرَ مؤمنين بالحقِّ ولا مُتَّبعينَ لَهُ، وهذا القِسْمُ لَهُ صورتان لا ثالثَ لَهُمَا:

الأُولى: أن يُصرِّحوا بعدَمِ إيمانِهم، فيوافقُ ظاهرُهُم الفاسدُ باطنَهُم الفاسدَ، وهؤلاء هُمُ الكفَّارُ.

والأخرى: أَنْ لا يُصرِّحوا بعدَمِ إيمانِهم، بل يَتَظَاهَرُون بخلافِه، فلم يُوَافقْ ظاهرُهُم باطنَهم الفاسدَ، وهؤلاء هُمُ المنافقونَ.

---

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 828.

(2) الواحدي، الوجيز، ص: 92، والسَّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 42، والتّفسير الميسّر، ص: 3.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 1/268.

(4) التَّقْسِيمُ: استِيفَاءُ أقسَامِ الشَّيءِ بالذِّكرِ، وله معانٍ أُخَرَى.
يُنظر: الصَّعيدي، بغية الإيضاح: 4/608.

أَثَرُ السِّياقِ في بَيانِ معانِي الحُرُوفِ:

الـحـديـث عـن المنافقين بصيغة الإبـهـام (ومـن الـنـاس) يحرك الأذهـان لمعرفة صفاتهم

أَفادَ حَرْفُ التَّبعيضِ في قولِه تعالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ معنًى بديعًا يتواءم مع واقع المنافقين ويَنْسَجِمُ مع صفاتِهم، فلمَّا كان المنافقون يُظْهِرون مَا لا يُبطنون، وَيتوَارَوْنَ عنِ الأنْظارِ بأعمالِهم الحقيقيَّة؛ كان الحديثُ عَنْهُمْ بأنَّهم مِنَ النَّاس بالإطلَاقِ دونَ تحديدِ صفةٍ معيَّنةٍ لهم؛ ليبحَثَ المتَدَبِّرُ عنْهُم في المجتَمَعِ بينَ النَّاس، فكان وَقْعُ حرفِ التَّبعيض مُوحِيًا بأنَّ أمرَ المتحدَّث عَنْهُمْ غَامِضٌ؛ "لِأَنَّهُ لِغَرَابَتِهِ وَنُدْرَةِ وَصْفِهِ بِحَيْثُ لَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ وُجُودُهُ نَاسَبَ أَنْ يَذْكُرَ أَمْرَهُ لِلسَّامِعِينَ"[1]، فكأنَّه لا وصف لهم يُميِّزُهم عنِ النَّاس سوى صورة الإنسانيَّة[2]، أي: أنَّ التَّعبيرَ بالنَّاس ههنا للتَّنْبيه أنَّهُ "ليس لهم مِنَ الصِّفات إلَّا الوصفُ الآدميُّ الأصليُّ؛ وَهُوَ أنَّهم ناسٌ مِنَ النَّاس"[3].

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ الْخَبَرِ إفادةُ التَّشويقِ لا التَّخصيصِ:

من فوائد تقديم الـخـبر تشويق السامع لمعرفة المبتدأ

أفادَ تقديمُ الخبرِ في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾؛ تَشْوِيقَ السَّامع إلى الاسْتِعلام عَنِ المبتدأ، فإذا ذُكِرَت قبائحُ المُتحدَّث عنْهم وَقَعتْ عَلَى نفسٍ مُسْتَشْرِفَةٍ لِلْمَعْرِفةِ، فيتمكَّنُ مِنْهَا غايةَ التَّمكُّنِ، وليس في هذا التَّقديم إفادةُ التَّخصيص[4].

مَعْنَى اللَّامِ فِي كَلِمَةِ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ بَيْنَ الجِنسِ والعَهْدِ:

تَعْرِيفُ كلمةِ (ٱلنَّاسِ) في قولِه ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ لِلْجِنْسِ، ويُرادُ بهم إمَّا جنسٌ خاصٌّ، وهُمُ المُصِرُّون على الكُفْرِ؛ إذْ إنَّ المنافقينَ مِنْهُمْ[5]، وإمَّا جنسُ النَّاس، وهو الأوفقُ بالمقامِ[6]، والأقربُ في إعمالِ التَّبعيض.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/259.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 1/302.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/121.
(4) السيوطي، نواهد الأبكار: 1/368، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/260.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/39.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/262.

ويجوزُ أن تكونَ لِلْعَهْد، والمرادُ بالنَّاس: المتقدِّمُ ذكرُهُمْ قبلُ؛ إذْ إنَّ المُنَافِقِين مِنْ جُمْلَتِهِم[1].

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ:

صيغة المضارع تستحضر مقالة المنافقين قصد تبشيعها

جاء التَّعْبِير بالفعل المضارع في قولِه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾، ولم يقُل: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ آمَنَّا)؛ لِاسْتِحْضَار مَقَالَتِهم حينَ قالُوها؛ كأنَّ أصحابَها يَتَلَفَّظُون بها في الحالِ؛ قصدًا لِتَبْشِيعِها عِنْدَ نَفْيِ مضمونِها وهو ادِّعاءُ الإيمانِ؛ فإنَّ إبطالَ الزَّعم وقتَ صدورِهِ أوقعُ مِن إبطالِهِ بعد قَوْلِه، فيُفيدُ المباغتةَ في الخِطابِ.

تَوْجِيه تَخْصِيصِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ بالذِّكر:

دَفْعُ الرِّيبةِ عَنِ المنافقين، بالإتيانِ بأبرزِ أركانِ الاعتقادِ

خُصَّ الإيمانُ باللّه واليوم الآخرِ بالذِّكْرِ في قولِه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، على لسانِ المنافقين؛ زيادةً في التَّمويه والمخادَعة، وإرادةَ التَّميّزِ عَنِ المُشْرِكين، فكانَ ذِكْرُ الإيمانِ باللّه واليومِ الآخر ممَّا يدفعُ عَنْهُمْ رِيبةَ أنَّهم ما زَالُوا على وثنيَّتِهم، ويحقِّقُ لشَيَاطِينِهم مِنَ اليهودِ مأربَهم وهو عدمُ ذِكْرِ الإيمانِ بجميعِ الملائكةِ والرُّسلِ الذين مِنْهُمْ جبريل ومحمَّدٌ ﷺ.

وهناك نِكاتٌ أُخرى تخُصُّ هذين الرُّكنين لأجلِها اختارها المنَافِقُون من بينِ سائرِ الأركانِ، وهِيَ[2]:

إحداها: أنَّ الإيمانَ باللّه تعالى والبعثِ وما يَتْبَعُه أعظمُ مقاصدِ العقيدة الإسلاميَّة.

الإيمان باللّه واليوم الآخر هما الركنان اللّذان تتفرّع عنهما الأركان الأُخرى

ثانيها: أنَّ الإيمانَ باللّه سبحانه على ما يليق بجلاله وعظمَتِه؛ يلزمُ مِنْهُ الإيمانُ ببقيَّة الأركانِ؛ مِنَ الكُتُبِ والرُّسُل والملائكةِ والقدرِ.

ثالثها: أنَّ الإيمانَ بمصيرِ العبادِ إلى اللّه ﷻ يلزمُ مِنْهُ الاسْتِعدادُ بالأعمال الصَّالحةِ؛ فهو مفتاحٌ لكلِّ خَيْرٍ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/262.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 1/305.

رابعها: أنَّ الإيمانَ باللهِ ﷻ إيمانٌ بالمبدأ، والإيمانَ باليوم الآخر إيمانٌ بالمَعَادِ؛ فَهُمَا الطَّرَفانِ، وما سِوَاهما داخلٌ فيهما، على قاعدة أَنَّ الْبَيْنَ مُسْتَحْضَرٌ في الطَّرفَيْنِ.

فهذا كلُّهُ دَعْوَى مِنْهُمْ بِتَشَبُّثِهِم بالعقائدِ الإسلاميَّة على وجه الاسْتِحْكَام، وهو ما يدُلُّ على فِقه العقيدةِ عقلًا، وجهلِها قلبًا وسلوكًا.

سِرُّ تَكْرَارِ حَرْفِ الْجَرِّ (الْبَاءِ):

شـدَّةُ احتيـاطِ المُنافقين تُؤدِّي إلى طلـبِ قـوَّةِ التَّمويه

لِتَكْرَارِ البَاءِ في قولِه تعالَى: ﴿بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ غرضٌ بيانيٌّ هو "ادِّعاء أَنَّهُم قد حَازُوا الإيمانَ مِن قُطْرَيْهِ وأحاطوا به مِن طَرَفَيْهِ، وأنَّهم قد آمنوا بكلٍّ مِنْهُمَا على الأصالَةِ والاسْتِحْكَام، وقد دَسُّوا تحته ما هُم عَلَيْهِ مِنَ العقائدِ الفاسدَةِ، حيث لم يكُنْ إيمانُهم بواحدٍ مِنْهُمَا إيمانًا في الحقيقة؛ إذْ كَانُوا مُشْرِكين باللهِ"[1]، وهذا الاستحكَامُ في بيانِ إيمانِهم يدلُّ على شعورِهم النَّفسيِّ في ارتيابِ المؤمنين من حالِهم، على حدِّ قولِ القائلِ: كادَ المُريبُ أنْ يقولَ خذوني؛ فإنَّ شدَّةَ الاحتياطِ تُؤدِّي إلى طلبِ قوَّةِ التَّمويه.

تَغايُرُ الصِّيغةِ وأثرُه في المقابَلَةِ:

بيانُ انتفاءِ إيمَانِ الـمُـنَـافِـقِـينَ فِي المَاضِي وَالحَالِ بعنصر المفاجأة

جاءَ نَفْيُ الإيمانِ عَنِ المنافقين بقولِه تعالَى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ بعد قَوْلِهِم في دَعْوَاهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، ولم يَرِد نَفْيُ الإيمانِ عَنْهُمْ بِمِثْلِ طَرِيقَتِهِم في الإثبات؛ إذْ لم يأتِ التَّعْبِيرُ القرآنيُّ: (ومَا آمَنُوا)؛ ذلك أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ بعد قِيل المنافقين يُشعِرُ بالمفاجأةِ من حالِهِمُ الرَّديئة؛ لأنَّ المُتَوَقَّعَ خلافُ المَسْمُوعِ، ولا سيَّما أنَّ الآيةَ جاءت بعد ذِكْرِ الكافرينَ.

ولِأَنَّ إثباتَهم الإيمانَ بصيغة الماضي يُفيدُ تحقُّقَهُ في الزَّمن الماضي وَضْعًا، ويُفيدُ دوامَهُ التزامًا؛ إذِ الأصلُ عدمُ تغيُّرِ الاعتقادِ الدِّينيِّ.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/40.

نـفـي الإيـمـان عـن المـنـافـقين بـالـصـيـغـة الاسمية يؤكّد دوام نفيه عنهم

وأمَّا النَّفْيُ فوقع بالجملةِ الاسميَّة؛ إذْ لو وقع على مِثْلِ إثباتِهم بأن يُقَالَ: "وما آمنوا" لَأَفادَ ذلك نفيَ الإيمانِ عَنْهُمْ في الماضي، مِن دُونِ التَّعرُّضِ إلى نَفْيِهِ في الحالِ أَوِ الاستقبالِ، فجاء النَّفْيُ بالجملة الاسميَّة ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ الدَّالَةِ على دوامِ النَّفي قطعًا؛ ماضيًا وحالًا[1]، ويُقوِّي هذه الدّلالة دُخولُ الباءِ على خبرِ (مَا)؛ فإنَّها دالَّةٌ على تأكيد النَّفْيِ[2].

نُكتةُ حَذْفِ المَفْعُولِ وَأَثَرُهَا فِي توسيع المَعْنَى:

الـمُـنَـافِـقـونَ شديدو الكفر؛ فهم لَا يُؤْمِنُونَ بِـأَدْنَى شَيْءٍ مُتصَوَّرٍ، وحذفُ المفعول دالٌّ عليه

حُذف متعلَّقُ الإيمانِ في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾، فلَمْ يَرِدِ التقييدُ بالإيمانِ باللّه، أو باليوم الآخر؛ لتقدُّم ذكرِهِ مع ﴿ءَامَنَّا﴾ أي: وما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ بما زَعَمُوا الإيمانَ به، إعمالًا لدلالة السِّباقِ.

وإمَّا أن يكونَ ذلك لِلْإِيمَاءِ إلى العموم؛ إذْ إنَّ حَذْفَ المتعلَّق مُؤْذِنٌ بإفادةِ الشُّمول؛ فهم لَيْسُوا بمؤمنين بأيِّ شيءٍ مِمَّا من شأنِهِ الإيمانُ به[3]، وهذا يدلُّ على شديدِ كفرِهم، وبالغِ نفاقِهم، وهو ما يُترجِمُه قولُه تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: 145].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/40، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/265.
(2) ابن الورّاق، علل النحو، ص: 258.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 1/90.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»